

الفصل السابع

الأثر الأدبي والجمهور

I - الجمهور

إن أي أديب، عندما يكتب يستحضر في وجدانه جمهوراً ما ولو لم يكن إلا هو نفسه فإن أي شيء لا يعتبر معبراً عنه إن لم يوجه إلى أحد: وهذا معنى النشر كما رأينا. غير أننا يمكن أن نؤكد أن شيئاً ما لا يمكن أن يقال لأحد (أعني أن ينشر) إلا إذا قيل أولاً من أجل أحد، وليس من المحتم أن يكون هذا «الأحد» هو نفسه ذلك بل من النادر أن يتوافقا. وبعبارة أخرى فإن وجود جمهور مخاطب (يفتح الطاء) مفروض في أصول عملية الخلق الأدبي. ويمكن أن يوجد فروقات كبيرة جداً بين هذا الجمهور وبين الجمهور الذي يوجه إليه النشر.

فصموئيل بيبس الذي ما كان يكتب في «يومياته» إلا لنفسه تشهد بذلك احتياطاته الاختزالية والمرموزة كان بالتالي محاور نفسه، قد توجه إنتاجه بعد موته إلى جمهور كبير بفضل الناشرين (بالمعنى السامي للكلمة) الذي عمموا آثاره. وعلى العكس فإن الروائي الصيني لوسين الذي كان ينشر قصصه من سنة 1918 إلى 1936 في منتقيات أو في مجلات توجه إلى حلقة ضيقة من المثقفين أو المناضلين، كان يكتب لعشرات الملايين من الصينيين (الذين توصلوا أخيراً إلى سماعه في اليوم الذي أتاحت له الثورة المظفرة ناشراً على مستوى أهدافه).

قد يقتصر الجمهور المحاور على شخص واحد أي على فرد. كم من الآثار العالمية لم تكن في منطلقها سوى رسائل شخصية. ويكتشف النقد العلمي من حين إلى